

الفصل الخامس  
أحداث الليلة الأولى

## أحداث الليلة الأولى

تأجلت عملية قلب نظام الحكم من ليلة 21- 22 إلى 22- 23 يوليو، حتى يتمكن استدعاء جميع الضباط الأحرار الذين كانوا فى الإجازة.

و"كمال الدين حسين" كان حلقة الاتصال بين التنظيم وبينهم، ليبلغهم تطورات الموقف أولاً بأول، بعد أن اتخذت الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار قراراً ببدء الثورة.

وكننت قد قلت فى الفصل السابق: إن "جمال عبد الناصر" و"عبد الحكيم عامر" ذهبا إلى بيت اللواء "نجيب" يوم 20 يوليو، ليبلغاه- ولأول مرة- أن فى الجيش تنظيماً سرياً له تشكيلات فى جميع وحدات القوات المسلحة.

ثم ليبلغاه أيضاً أن هذا التنظيم السرى الضخم قرر القيام بقلب نظام الحكم، وأنه- أى التنظيم- قد اختاره ليكون قائداً للثورة، وأن العملية ستبدأ بين لحظة وأخرى!

وفى بيت "نجيب" وجد الرفيقان زوارا عنده، فلم يتمكننا من إبلاغه هذه الحقائق ودار الحديث حول الموقف بعد حل مجلس إدارة نادى الضباط، وكان "نجيب" يجهل تماماً الغرض الذى جاء من أجله "جمال" و"عبد الحكيم"، وكان يعتقد أنهما ما جاءا إلا لزيارته، ولتشجيعه- كالعادة- بعد أن حل مجلس إدارة نادى الضباط.

ومر الوقت الزوار مع "نجيب"، والرفيقان يتحدثان عن كل شئ ما عدا الثورة وقلب نظام الحكم.

ثم خرجا بعدما أوهما الزوار و "محمد نجيب" أيضاً أن كل ما يشغل بالهما هو رفع قضية فى مجلس الدولة، لعدم شرعية حل مجلس نادى الضباط وتعيين مجلس جديد له.

وفى ذلك اليوم- 20 يوليو- قرر "جمال" عدم الاتصال باللواء "نجيب" لإبلاغه بان الثورة ستقوم وأنه قائدها إلا بعد انتهاء العملية ونجاحها.

لقد قال "جمال": إن بيت "نجيب" ربما كان موضوعاً تحت المراقبة، بعد أن ظهر أمام السراى كخصم "لحسين سرى عامر"، وفى هذه الحالة يصبح الاتصال بنجيب قبل بدء العملية خطراً على الثورة.

## الوزارة الخامسة والأخيرة!

وبعد هذا- أى فى 20 يوليو- تحدد موعد قيام الثورة نهائيا ليلة 22- 23 يوليو، وصدر ذلك القرار بالموعد النهائى من أعضاء الجمعية التأسيسية الموجودين فى القاهرة، ولم أكن موجوداً يومها فى القاهرة وأيضاً "صلاح" و"جمال سالم" فقد كنا فى العريش ورفع.

وفى ذلك الوقت، عندما قررت القوات المسلحة قلب نظام الحكم فى البلاد كان "حسين سرى" قد استقال مع وزارته، وهى الوزارة المشهورة التى كان "كريم ثابت"- باشا- وزيرا فيها. ودارت المشاورات كالعادة لتأليف الوزارة الخامسة بعد حريق القاهرة.

وكانت حكومة "حسين سرى" فى قبضة السماسرة والخدم، وكذلك كانت كل الوزارات التى تكونت بعد حريق القاهرة، لا يكاد أفرادها يستقرون على مقاعد الحكم حتى يتحرك إصبع سمسار أو خادم فيطيروا من فوق المقاعد كالدمنى...

## كيف يحكم الشعب؟

إن نظام الحكم فى ذلك الوقت كان يتهاوى من تلقاء نفسه والبلاد معه.. والمسألة كانت: هل يحكم الشعب أم يحكم القصر عن طريق عملائه من أمثال "كريم ثابت"؟! إن الشعب كان لا يحكم على الإطلاق، فكانت الوزارات التى تتكون تبدو كحكومات لشعوب أخرى تعيش فى بلاد أخرى غير مصر.

فكيف- إذن- كان يمكن أن يحكم الشعب، والقوات المسلحة هى التى كانت قيادتها تحمى النظام نفسه؟!!

كان حتما- إذن- كما قلت فى أحاديثى كلها، أن يتخلى الجيش عن قيادته الخائنة المتآمرة مع القصر والإقطاع والاستعمار على الشعب.

تلك القيادة التى خضعت للقصر وحكومة الوفد أيام معارك القنال، فمنعت القوات المسلحة من خوض تلك المعارك جنبا إلى جنب مع أبناء البلاد على اختلافهم.

## كيف ظهرت القيادة الجديدة؟

وكما قلت وسأقول دائما إن الثورة المصرية العربية كان عليها فى عام 1952 أن نجد قيادة جديدة لها..

قيادة غير وفدية, لأن الوفد انسلخ من الشعب عندما ضمت قيادته الإقطاعيين وغير قيادة السعديين والأحرار والدستوريين الذين يمثلون مصالح الساسة الذين خلقهم الاستعمار والقصر والرجعية المصرية...

وغير قيادة الإخوان, لأن الإخوان أهدافهم هى استغلال الدين لمصالح الرجعيين

أين- إذن- كان يمكن أن تظهر قيادة شعبية للثورة المصرية؟

وفى أى صفوف بين هذه الملايين المصرية المستعبدة يمكن أن يخرج زعماء يولون وجوهم شطر الشعب ويعطون ظهورهم للاستعمار والقصر! ليس هناك سوى القوات المسلحة- كما قلت- فهى الصفوف التى تضم ألوف المصريين المسلحين...

والضباط الجنود الذين تضمهم تلك القوات ليسوا مرتبطين- بأية مصالح- مع القصر والإقطاع وحاميهما الاستعمار!..

فقيادة الثورة المصرية تكون فى هذه الحالة خاضعة لمصالح الشعب, ويمكن أن تمضى فى الطريق الذى يحقق تلك المصالح.

وكانت منشورات الضباط الأحرار تعلن أهداف تنظيمهم الضخم الذى يعمل لقلب نظام الحكم فى البلاد, وهى- أى المنشورات- كانت تحدد اتجاهات الشعب تماما, فى السياسة وفى الاجتماع, كانت المنشورات صدى لما يعتلم فى صدور الملايين المصرية!

وفى كل صباح كانت تلك المنشورات تحمل أهداف القيادة الجديدة.. إلى الشعب والجنود الضباط.

والضباط الأحرار كانوا قد انتشروا بالعشرات فى جميع وحدات الجيش, حتى أن إدارة المخابرات- وهى من أخطر أجهزة الجيش وأمنعها- كان للضباط الأحرار أفراد فيها!

وأمام هذه الحقائق تقرر قلب نظام الحكم بواسطة القوات المسلحة.. وتحدت- كما قلت- ليلة 22- 23 للبدء فى العملية... لقد ظهرت القيادة الجديدة!

## فى مطار العريش

وفى يوم 21 يوليو.. فى ساعة مبكرة من الصباح كانت هناك طائرة تتجه من القاهرة إلى العريش.. وهى نفسها الطائرة التى تسافر إلى العريش عادة كل يوم- اثنين- لكن فى هذه المرة كان حسن إبراهيم فيها, أرسله "جمال عبد الناصر" إلينا.. "صلاح سالم" و"جمال سالم" وأنا. وكان "جمال عبد الناصر" قد اتصل بنا تليفونيا أخطرنا بأن "حسن" فى طريقه إلينا.. وفى مطار العريش كنت مع "جمال سالم" فى انتظار الطائرة.

جاء "حسن إبراهيم" ليبلغنا أن الخطة الأساسية ستنفذ ما بين 22 يوليو و5 أغسطس! وطلب "حسن" منى أن أسافر على الفور إلى القاهرة لمقابلة "جمال عبد الناصر" وقال "جمال سالم": إنه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة, فإنه سيبقى فى العريش لينهى بعض الأعمال العاجلة, ثم يطير إلى القاهرة يوم الخميس.

وتركت "حسن إبراهيم" لأعود إلى رفح سريعاً, وأعددت حقائبى على الفور ثم استأذنت من قائدى فى السفر, بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جداً... وكان القطار الذى يسافر إلى القاهرة يقوم فى الصباح! وفى صباح 22 يوليو كنت جالسا فى قطار القاهرة.

## من السينما إلى المعركة

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر, رأيت أن أفضى السهرة مع أولادى فى إحدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا.. اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى لأقابل "جمال عبد الناصر" وأتلقى منها ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة.

وكانت دار السينما تعرض - كالعادة - ثلاثة أفلام مرة واحدة.. وجلست مع الأولاد فى السينما نتابع الروايات الثلاث.

وفى خلال تلك المدة كان "جمال" قد ذهب إلى منزلى بسيارته الأوستن المشهورة ولم يجدنى, ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا إليها, وعاد "جمال" يسأل مرة أخرى بعد ساعة.. فلما لم يجدنى, ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها:

"المشروع ينفذ الليلة, المقابلة فى بيت "عبد الحكيم" الساعة 11.."

"وجمال" فى تلك الليلة كان يلف بسيارته فى جميع أنحاء القاهرة كالنحلة تماما.. ليوزع الأوامر على الزملاء..

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أفقر درجات السلم إلى شقتى, تاركا أولادى مذهولين مع البواب!

وخلعت القميص والبنطلون, وارتديت ثيابى العسكرية, ثم ركبت سيارتى الخاصة الصغيرة وانطلقت بها.

إننى لم أجد أحدا فى بيت "عبد الحكيم عامر", فأين أذهب؟ كنت حائرا.

**الملازم الذى قبض على!**

لم أر بدا من التوجه إلى مبنى رياة الجيش, لابد أن قوائنا قد اتجهت إليها مادامت العملية قد بدأت, وكنت منطلقا فى شوارع القاهرة بأقصى سرعة تحتلها السيارة الصغيرة, وعند قشلاق العباسية أوقف أحد الضباط سيارتى.

ولما رأى رتبتي خاطبنى بلهجة حاسمة مليئة بالحزم, بالرغم من أنه كان يوزباشيا.. لكنه من الضباط الأحرار..

قال لى: أن لا أذهب إلى وحدتى فى الصباح وأن أكون فى انتظار أوامر جديدة!

وعلمت أن تلك كانت صيغة الأمر الذى يبلغه الضباط الأحرار إلى جميع الضباط من رتبة بكباشى فيما فوق!!

وتابعت مسيرى فوصلت إلى قشلاق السوارى, وكان الطريق هناك مقفلاً وتأكدت أن العملية بدأت فعلاً وخاصة بعد أن سمعت أصوات مئات الطلقات وهي صادرة من ناحية مبنى القيادة.

وأردت أن أمر من "الكردون" الذى صنعتة قواتنا, ولكن الضابط منعى وكان صارماً جداً معى.. لأنى لا أعرف كلمة السر.

كان موقفى رهيباً.. فيلا كلمة للسر لن يسمح لى الضابط الصغير أن أمر من "الكردون" إلا على جنته.. فكيف أتصرف معه؟..

كيف أقنعه أنى من الأحرار.. كيف أدعه يتركنى أخوض المعركة مع قواتنا؟ لقد كنت أرى أشباحاً عديدة من بعيد.. إنها قواتنا تقلب نظام الحكم وأنا واقف خلف "الكردون" والضابط الصغير يمنعى بل وبدأ يتحرش بى.. وامتألت رأسى بمئات الخواطر.. ترى هل أصيب أحد من الزملاء.. ترى ماذا يصنع "جمال" الآن.. وأين "عبد الحكيم"! أين الجميع! وماذا صنعوا..

وعدت بسيارتى, ثم اضطررت إلى اللف من فوق كوبرى القبة, لأمر من المدخل الثانى للكوبرى الذى يواجه مستشفى الجيش.

وهناك وجدت الطريق مغلقاً أيضاً, لكن ضابط "الكردون" كان يعرفنى, لمحت وجهه من بعيد فعرفته, إنه ملازم أول كان يعمل معى فى رفح, وهو يعرفنى شخصياً فقد قضينا معاً وقتاً طويلاً فى مكان واحد.

واقتربت من "الكردون" وقد استراحت أعصابى قليلاً.. أضاء الأمل فى صدرى.. إذن سوف أشترك فى العملية..

وما كدت اقترب حتى سمعت صوت الملازم صديقى وهو يمنعى من الاقتراب ثم وهو يقترب منى يرى وجهى.. لكن لا تظهر على وجهه علامات تبشر بالخير, فبالرغم من أنه عرفنى إلا أنه كان لا يعلم أنى من الضباط الأحرار فألقى القبض على فى الحال..

وهنا شعرت بصدرى يمتلى بالضيق وبرأسى تكاد تنفجر, حاولت معه دون جدوى, إن الصداقة التى تربط بيننا لم تشفع لى عنده فى معركة الحياة أو الموت.. فلم يصدقنى لأنى لا

أعرف كلمة السر, ولم أعرف ماذا يمكننى أن أفعل وزاد من هلعى أن أصوات الطلقات النارية من قريب ازدادت حدتها.

يا "عبد الحكيم" .. أنا "أنوار"؟

وفجأة أضاء الأمل مرة ثانية فى صدرى.. وكنت مع الملازم صديقى الذى قبض على فوق الكوبرى, فسمعت صوتاً من بعيد يشبه صوت "عبد الحكيم عامر" .. واجتاحنى شعور بالخلاص, كان الصوت القريب إلى نفسى يصدر تعليمات إلى قوات كثيرة ويحدد لها أماكنها.. وفى هذه اللحظات كانت العربات المحملة بالجنود والضباط تمر من أمامى, إنها قواتنا بدأت تقلب نظام الحكم!

ووجدت نفسى أنادى بملء صوتى:

يا "عبد الحكيم" .. يا "عبد الحكيم" .. أنا "أنور"!

ورأيت شبح "عبد الحكيم" يقترب منا.. وهنا فقط أفرج عنى صديقى الضابط!

**البطل الصامت**

ومضيت مع "عبد الحكيم" .. لم يكن معى سلاح, وناولنى "عبد الحكيم" طبنجة.. وهو فى تلك الليلة كان يحمل كل أنواع الأسلحة الصغيرة..

وبدأت أسأل "عبد الحكيم" فى لهفة عن الموقف.. وكان صوت الطلقات لا يزال يدوى كالرعد من حولنا, وقال "عبد الحكيم":

- رئاسة الجيش سقطت...

وصمت.. ثم عاد يرد على أسئلتى فى هدوء عجيب..

قال لى:

- الطلقات اللى أنت سامعها دى عملية تطهير لمبنى الرئاسة!

ولم يقل لى "عبد الحكيم" فى تلك اللحظة إنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش وإنه هو الذى احتلها بجنوده..

هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته.. تماما مثلما فعل ذات يوم فى فلسطين.. عندما تقدم وفى يده مسدس ومن خلفه عساكره واقتحم مستعمرة "نيتسالييم".. وكان تصرفه ذاك أشبه بالأساطير التى تروىها لنا جداتنا...

ولولا أنه رقى إلى رتبة صاغ استثنائياً لما عرف أحد ماذا صنعه يوم "نيتسالييم".. إنه صامت على الدوام, لا يتكلم أبداً عن نفسه, وأعصابه تبدو كأنها فى أعماق الجليد! لقد كان "عبد الحكيم عامر" دائماً باسلاً حاسماً يخوض معاركه بإيمان راسخ متين وأعصاب تبدو ساعة المعارك كأنها الفولاذ!

إنه فى يوم "نيتسالييم" بمسدسه وعساكره من خلفه.. وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره من خلفه..

وفى يوم 27 فبراير فيما بعد.. فى عام 1954 حين تدخل ببسالته وحسم الموقف, فمنع بجرأته قيام حرب أهلية كانت على وشك أن تقع بعد دقائق...

أقول فى كل هذه المواقف كان "عبد الحكيم" بطلاً أسطورياً يحمل رأسه على كفيه وبإيمان لا يزعه رصاص أو ديناميت!!

## المخابرات تعرف الخطة

وأعود إلى قصتنا.. إلى قصة سقوط رئاسة الجيش.. بمن فيها من قواد!.

فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم 22 يوليو, توجه أحد ضباط المخابرات وهو اليوزباشى "سعد توفيق", وقد كان من الضباط الأحرار وأبلغ "جمال عبد الناصر" أن الخطة اكتشفتها رئاسة الجيش.. وأن "حسين فريد" رئيس هيئة أركان حرب الجيش.. قد دعا قوات الوحدات إلى مؤتمر عاجل فى مبنى الرئاسة..

"جمال" كقائد

وكان معنى ذلك أن الثورة لن تقوم.. بعد أن عرفت قيادة الجيش خطة الضباط الأحرار..

ولكن "جمال عبد الناصر" لم يتراجع.. إن العملية قد بدأت ولا سبيل إلى التقهقر, فلم يبق غير ساعة واحدة وتصل جميع قواتنا إلى مراكز تجمعها.. وتبدأ المعركة!..

أقول لم يتراجع "جمال", بل قرر القبض على هؤلاء القواد الذين دعاهم "حسين فريد" للاجتماع فى مبنى الرئاسة!

وفى ذلك الوقت, وبعد كل التطورات, كان اللواء "محمد نجيب" لا يزال فى منزله.. لا يرى شيئاً ولا يسمع شيئاً!